الافتتاحيّة

«لست أنا بعد الحي، بل المسيح هو الحي فيّ» (غل ٢:٢٠)

رئيس التحرير

مقدّمة

يتبيّن قارئ بولس أنّ هذا المؤمن الأديب، الضليع فكراً وصياغةً، هو فريد عصره، لا بل فريد العصور في ما حرّر من رسائل، وفي سموّ ما رأى وارتأى، في قوّة الكلمة التي تخرج من فمه كسيف ذي حدّين، وفي لطف الموقف التي يتدفّق من خفّاقه كحنان أم، فإذا هو صورة عن معلّمه ولا أبهى!

١) غل ٢:١٩: موت عن «الأنا» وحياة لله

في غل ٢:١٩ يؤكّد بولس ما يلي:

«لأنّي بشريعة المسيح متُّ عن الشريعة، لكي أحيا لله. لقد صُلبتُ مع المسيح».

هناك رابط بين آ ١٩ و آ ٢٠ من حيث النقيضة موت–حياة؛ تكمل الآيتان الواحدة الأخرى:

في آ ١٩، موت بولس، بالمعنى المجازي للكلمة، يوصف بأنّه موت عن الشريعة!

في آ ٢٠، موت بولس هو موت عن «الأنا».

هكذا، يضحي التحرّر من الشريعة مستحيلاً من دون ترك «الأنا».

٢) غل ٢:٢٠: المسيح هو الحي فيّ

يفسّر ويكمل تأكيدُ بولس الفريدُ القائل: «المسيح هو الحي فيّ» (غل ٢:٢٠)، الهدفَ الذي يسعى إليه الرسول، أي: «لكي أحيا لله» (آ ١٩).

من يحيا لله هو المسيح القائم من الموت، كما يشرح ذلك بولس في روم ٦:١٠. «المسيح هو حيٌّ فيّ» هي عبارة وتأكيد ذات جِدَّةٍ رائعة وغير عادية. الموضوع هو إنسان، هو المسيح، الذي يحيا في إنسان آخر يؤمن به، بشكل حقيقي وملموس، إلى حدّ أنّ حياة هذا المؤمن تُنسَبُ إلى المسيح بدلاً من أن ينسبها المؤمن إلى ذاته:

«المسيح هو الحي فيّ»!

يوضح بولس هذا التأكيد بقوله: «أحيا بإيمان ابن الله»، وهكذا نفهم كيف أنّ المسيح امتلك حياة بولس. تدخل حياة المسيح فيَّ بالإيمان، وأدخل أنا بالمقابل في المسيح بإيمان ابنِ الله. ليس الإيمان هنا اعتناقَ حقيقةٍ ما، بل قبول حياة المسيح في أعماقي. لنلاحظ هنا الموازاة المتبادلة بين التعبيرَين: «المسيح يحيا فيَّ، وأنا أحيا في إيمان المسيح».

مضمون غل ٢: ٢٠ رائع، ولا مثيل له في كل الكتاب المقدّس، لأنّه يعبّر عن العلاقة الشخصيّة بين المسيح وبولس بعمق عظيم. وما خطّته يمين بولس هنا هو شهادةٌ شخصيّةٌ كلّها شغف بالمسيح.

لدينا في ١ يو ٥: ١١-١٢ تأكيد قويّ جدّاً، لكن النبرة غير شخصيّة.

في يو ١٥: ٤ أيضاً نجد دعوات إلى العلاقة الحميمة مع المسيح (أنظر يو ٥: ٩).

لكن، ما يقوله بولس يعيشه بكثافة وعمق.

هناك نصوص أخرى يعبّر فيها بولس عن الثقة الشخصيّة: فيل ١: ٢٠-٢١؛ ٣: ٨-١٠؛ الخ.

٣) حياة المسيح قوام الإيمان

نجد إذاً في غل ٢: ٢٠ أساسَ الإيمان وكل مداه:

- يقوم الإيمان، من ناحية أولى، من قِبَلي، على أن أتقبّل فيَّ حياةَ آخَر. هذا ممكن مع المسيح، لأنّ المسيح أعطى حياته لأجلي؛ لقد مات حقّاً لأجلي، وبموته حصل لأجلي على حياة جديدة يمكنه أن يهبني إيّاها.
- ويقوم بالإيمان، من ناحية ثانية، على الاشتراك في علاقة المسيح مع الله؛ في الواقع، الإيمان بالمسيح لا يتوقّف عند المسيح فقط، بل يجد في المسيح الشركةَ مع الله. هذا ممكن مع المسيح، ابن الله، لأنّ طبيعته البشريّة قد رُفِعَت، عبر ارتفاعه على الصليب وموته بسخاء منقطع النظير، إلى مستوى البنوّة الإلهيّة.

لأجل هذين السببين، أي العلاقة مع الله، والعلاقة معي، المسيح هو «مؤمن» بالتمام، ويقدم لي أساساً أميناً جدّاً لإيماني. بإمكاني بالتالي أن أعيش في «إيمان المسيح»، سائراً بإيماني في سياق «أمانة» المسيح.

تعطي خاتمة غل ٢: ٢٠ أساس كل شيء:

المسيح هو «ابن الله الذي أحبّني وأسلم ذاته لأجلي».

هذه الصياغة هي إبداع يكشف بطريقة رائعة علاقته الشخصيّة مع المسيح. ذات الصياغة تُستعاد في الرسالة إلى الأفسسيين مرتين، مع تطبيق جماعي، وتطبيقات، مرّة أولى ذبائحيّة (أف ٥: ٢)، ومرّة ثانية كنيسة (٥: ٢٥).

خاتمة

في النهاية، يمكننا أن نستنتج، وباختصار، ولكن بوضوح كبير، أنّ بولس «أحبّ كثيراً»، لذلك وحده هتف قائلاً: «حياتي هي المسيح»!